**رسالة بولس الرسول**

**إلي**

**فليمون**



**سلسلة دراسات كتابية**

**تحضير**

**فكتور تاوضروس**

[**www.oasisoflivingwater.com**](http://www.oasisoflivingwater.com)

**رسالة بولس الرسول**

**إلي فليمون**

هذه هي الرسالة الشخصية الوحيدة من بين رسائل الرسول بولس الثلاث عشر. نعم لقد كتب إلي تلميذيه تيموثاوس وتيطس لكنها كانت رسائل رعوية لإرشادهم كيف يرعون الرعية.

وربما كتب الرسول بولس رسائل شخصية أخري, لكن هذه هي الرسالة الوحيدة التي نجت من الدمار أو الفقدان ووجدت طريقها إلي أن تُوَثّق وتُقبَل وتُضَم إلي أسقار العهد الجديد المُقَنّنة.

والرسالة في ذاتها قصيرة جداً ولذا لم تُقَسّم إلي أصحاحات كباقي الرسائل.

**خلفية الرسالة :**

قبل أن نبدأ في دراسة النَص نفسه أَوَد أن أقُصّها كقصة وليست ككل القصص لكن كحَدَث يلمس القلب ويُرينا عمل نعمة الله وتأثيرها علي كل الأشخاص المعنية في القصة.

إنها تُخبِرُنا عن قصة عبد هارب يُدعي أونسيمُس وسيده فليمون الذي كان يعيش في كولوسي, لادوكية, أو هيرابوليس, وهذه الثلاث مدن كانت قريبة من بعضها البعض حتي أنها كانت تُعتَبَر مجتمع واحد.

وحَدَثَ أن أونسيمُس أساء إلي سيده. ولم يكن من الواضح ماهية الإساءة, ولكن أكبر الظن أنه سَرَقَ مالاً أو ما شابه. وإذ كان يخاف العِقَاب هرب بضع مئات الأميال إلي المدينة الكبيرة روما حيث ليس من السهل التَعَرُف عليه هناك وسط ملايين العبيد مثله, إذ كان من المعروف أنه كان هناك حوالي سِتّين مليون عبد في الإمبراطورية الرومانية آنذاك, الذين كانوا سبايا من الدُوَل المهزومة. وقد كان معظمهم مِلك النبلاء والحُكّام وقُوّاد الجيش ذوي المكانة العالية والأشراف وكبار المسئولين في روما.

ولم يُذكَر في الوحي الإلهي كيف تَعَرّفَ أونسيمُس علي الرسول بولس, لكن أكبر الظن أنه سَمِعَ عنه من أحد رفاقه العبيد الذي ربما أخبره عن حِكمَة الرسول بولس وتَعليمه المُقنِع عن نبي كان قد صُلِب ومات ودُفِنَ ثُم قام من الأموات. فأراد أن يري ويسمع بنفسه قصة ذلك النبي المُقام. وهكذا ذهب إلي الرسول بولس الذي بالطبع كَلمَهُ عن السيد المسيح, وهكذا آمن أونسيمُس ومَكَثَ مع الرسول بولس ليخدمه.

كل شيئ مضي علي خير ما يُرام إلاّ أن يوماً ما حَدَثَ ما لم يكن في الحسبان إذ أنه عُرِفَ من شخص لم يَذكُر الوحي المقدس إسمه إلاّ أن علماء اللاهوت أجمعوا علي أنه إبفراس الذي أتي من كولوسي ليستَشير الرسول بولس في بعض الإشكالات والهرطقات التي تَفَشّت في كنيسة كولوسي, وعَرِفَ العبد الهارب أونسيمُس. وهكذا عَلِمَ الرسول بولس بقصة أونسيمُس. وفي الحال وجد الرسول بولس أنه في مأزق شديد الخطورة محصور بين صخرتين إذ أنه كرجل يخاف الله لا يصِحُ له أن يأوي مجرماً. لكن في نفس الوقت أن يخبر السلطات عنه يضعه في موقف الخائن لصديقه والذي حتماً سَيُحبِط رجاء صديقه فيه وربما يُفقِد إيمانه. لكن تأتي معونة الله دائماً من حيث لا ندري, وهكذا ألهمه الله أن يرسله إلي سيده للمصالحة. وبالطبع كان علي الرسول بولس أن يناقش الموضوع مع أونسيمُس وإقناعِه أن هذا هو أفضل حل لمشكلته, وأنه سيكتب رسالة توصية لسيده فليمون وأنه متأكّد أنه سيقبله ثانية بدون سوء نية أو عقاب. ومن الطبيعي أن يقبل أونسيمُس هذا الحل علي مضض أو ربما كان يعلم أن سيده إنسان رحيم وأنه سيغفر له هذه الذلة. لكن من الوجه الآخر ربما أيقن أن أمره قد إنكشف علي كل حال وان يُسَلّمَ لسيده أفضل من أن يُسَلّمَ للسلطات في روما.

وهكذا كتب الرسول بولس هذه الرسالة القصيرة, وهي رسالة صلبة وراسخة ودقيقة وواضحة يُخبِرُ فيها فليمون أنه متأكد أنه كمسيحي حق سَيَقبَل اونسيمُس ليس كعبد قد أخطأ لكن كأخ في المسيح. ثم يستطرد فيقول كلام حسن لصالح أونسيمُس فيقول أنه نافع له كثيراً لدرجة أنه كان يرغب أن يحتفِظ به لنفسه ولكنه لا يقدر أن يفعل هذا بدون أن يأخذ إذنه, ولكن أن يحتفظ به فسيكون "نافع" له ولي, وهنا يتلاعب الرسول بولس بالألفاظ إذ أن كلمة أونسيمُس في اللغة اليونانية معناها "نافع أو مفيد". ثم أضاف أنه إن كان قد ظلمه في شيئ فسيرده (أي بولس) له, ثم وضع إسمه كضامن.

هناك رأي آخر يستحق الإعتبار وضعه أحد المفسرين وهو أن الرسول بولس لم يضع كل الحمل علي كتِفَي فليمون, لكنه ترك الأمر كلية إلي قرار الكنيسة. وهو يستشهد بالآية رقم 2 التي يرسل فيها تحياته "لأرخِبُّس المتجنِّد معنا" والذي يعني أنه كان يخدم المجتمع الذي كان فليمون يعيش فيه أي الثلاث مدن القريبة جداً من بعضها البعض كما ذكرنا سابقاً (كولوسي ولادوكية وهيرابوليس), هذا علاوة علي أن إسمه ذُكِرَ في الرسالة إلي كولوسي 17:4 كما درسنا سابقاً. ومعني هذا أن أونسيمُس سَيُقبَل ليس من سيده فليمون فقط بل من الكنيسة بأجمعها أيضاً.

والسؤال هنا هو : "هل كان هناك أي مجازفة في قرار الرسول بولس لإرساله أونسيمُس إلي سيده؟". نعم بالطبع لأن العبد في القديم كان عبارة عن آلة حية ملكاً لسيده يصنع به كما يشاء خصوصاً وأنه هارب, فكان من حقه أن يقتله أو أن يُعَذبه إلي أن يموت, وعلي أحسن الأحوال يضعه في السجن إلي أن يموت. نعم لقد كان هناك مجازفة في إرسالة والرسول بولس كان لا يخفي عليه هذا الأمر, لكن إرساله إلي سيده أفضل بكثير من أن يُسَلّمه إلي السلطات الحاكمة في روما إذ كان مآله أن يوضع في السجن إلي أن يموت أو أن يُرسل إلي سيده لينال واحدة من النهايات سالفة الذكر لو لم يرسله إلي سيده ومعه رسالة المصالحة هذه وفرصة العفو من سيده.

ثم يضع الرسول بولس آخر إستجداء إلي فليمون في أعداد 20, 21 فيقول " نعم أيها الأخ ليكن لي فرح بك في الرب. أرح أحشائي في الرب. إذ أنا واثق بإطاعتك كتبت إليك عالماً أنك تفعل أيضاً أكثر مما أقول."

وهنا يأتي أجمل قسم في هذه القصة ولو أنه لم يُذكر في النص الكتابي إلاّ أنه كُتِبَ في تاريخ الآباء الأولين, حيث يُقال أن إجناثيوس أحد شهداء المسيحية العظماء كان ماراً بأفسس في طريقه من أنطاكية إلي روما لِيُعدَم هناك, كتب خطاباً يمدح فيه أسقف أفسس وكان يُدعي أونسيمُس وفي خطابه تلاعب بالإسم كما تلاعب الرسول بولس قائلاً " هو أونسيمُس بالإسم وبالطبيعة, الرجل النافع للمسيح".

فإن كان هذا الأونسيمُس هو نفس الأونسيمُس العبد الهارب, فإن هذا يُرينا عمل نعمة الله التي تفوق كل عقل. ألا يدعو للعجب أن تبقي ورقة البابيرس الصغيرة التي إحتوت هذه الرسالة القصيرة دون أن تتلف أو تضيع وأن تحظي بضمها إلي مجموعة رسائل الرسول بولس؟ من الأكيد أن الرسول بولس كان قد كتب رسائل شخصية أخري كثيرة لكن لم تبقي أي منها إلاّ هذه الرسالة.

ومن الحقائق الأكيدة أن أول تجميع لرسائل الرسول بولس حدث في أفسس في أواخر القرن الميلادي الأول إلي أوائل القرن الميلادي الثاني, وكان أونسيمُس أسقف أفسس آنذاك ومن الممكن أن يكون هو الذي أصر علي ضم هذه الرسالة إلي مجموعة الرسائل حتي يعرف الجميع كيف عملت نعمة الرب فيه, إذ من خلالها يخبر الأسقف كل العالم أنه يوماً ما كان عبداً هارباً وأنه يدين بحياته للرب يسوع أولاً وللرسول بولس ثانياً.

فإن كان كل هذا صحيحاً فإنه يخبرنا أن أونسيمُس حظي علي العفو من كلا سيديه السماوي والأرضي وأن ما كان قد حُسِبَ مجازفة خطرة تَحَوَّلت إلي بركة عظيمة. "يا لعمق غني الله وحكمته ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء" (رو 33:11)

والآن نأتي إلي دراسة الوحي الإلهي :

**أعداد 1-7 :**

يجب أن نتذكر من البداءة أن الرسول بولس كتب هذه الرسالة يطلب فيها معروفاً لآ لنفسه بل من أجل صديق. إنه يَتَشَفع من أجل عبد هارب أساء إلي سيده وربما سيُواجه الموت إذا لم يُغفَر له. والرسول بولس كان في منتهي اللباقة فهو الذي قال :"فإني إذ كنت حُرّاً من الجميع, إستَعبَدتُ نفسي للجميع لأربح الأكثرين. فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود. والذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس. وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس, مع أني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح, لأربح الذين بلا ناموس, صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيئ لأُخَلِّص علي كل حال قوماً" (1كور 19:9 – 21). وعليه فقد ترك المقدمات الرسمية وتكلم كما يكلم الصديق صديقه, فبدلاً من أن يقول مثلاً : "بولس رسول المسيح بمشيئة الله" كما يقول دائماً في كل رسائله, يكتب "بولس أسير يسوع المسيح". وبفعل هذا يضع نفسه للوقت في موضع المستعطف ليس لسلطة ما بل اصديق يطلب بمحبة.

نحن لا نعرف بالتأكيد من هم أبفيا وأركِبُس ولكن هناك من يقترح أنهما زوجة فليمون وإبنه إذ أنهما ولا بد أن يكونا مشغولين برجوع أونسيمُس وما سيحدُثُ له خصوصاً وإن كانا يحملان له نوعاً من الحب. أمّا عن فليمون فلا بد أنه كان رجلاً حسن الخُلُق ويسكن في قلبه الحب المسيحي إذ يقول الرسول بولس في عدد 5 : " سامعاً بمحبّتِك والإيمان الذي لك نحو الرب يسوع ولجميع القديسين." ربما كان الرسول بولس قد سمع عنه من أونسيمُس.

أمّا عدد 6 فهو صعب الفهم نوعاً ما معتمداً علي أي ترجمة بين أيدينا, لكنه يعني بكل بساطة :" أنا أصلي أن طريقتك في غني مشاركتك في كل ما لك, سيقودك أكثر فأكثر إلي معرفة كل ما هو حسن إلي طُرُق المسيح. ثم يستطرد فيقول في عدد 7 " لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك لأن أحشاء القديسين إستراحت بك أيها الأخ."

**أعداد 8-17 :**

المعروف لا يُحسبُ معروفاً إلاّ إذا أُعطِيَ بدون مقابل وبنية حسنة, ولذلك يتضرع الرسول بولس ولا يأمر أويُطالب مع أنه في ظروف أخري ربما يَحِقُّ له ذلك. فهو يستعطف من سبيل المحبة كرجل مُسِن وأسير يسوع المسيح, ويقول :" إنه ليس لي لكنه لإبني أونسيمُس الذي أتيتُ به إلي الحياة وانا في قيودي الذي كان قبلا عير نافع لكنه الآن نافع لي ولك. أليس هذا يدعو إلي العجب كيف يصنع السيد المسيح من الجافي حلاوة؟ فالمسيحية بدون شك تسمو بالإنسان إلي الفكر السماوي وتجعله في نفس الوقت نافعاً علي الأرض. إن الإتيان بشخص إلي المسيح شيئ عظيم كعظمة الإتيان بطفل إلي العالم. وفي عدد 12 يقول :" الذي رددته". وهذه الكلمة تعني في اللغة اليونانية :" أنا رافع حالته إليك لتُصدِرَ حُكمَك فيها". يعني بالعربي " إنت لك الكلمة الأخيرة" أو بالبلدي " كل اللي هاتقوله ماشي" فأرجو أن تقبله كما تقبلني أنا إذ هو أحشائي. ومعني ذلك أن الرسول بولس أصبح مرتبطاً بأونسيمُس إرتباطا وثيقاً حتي يقول أنه أحشائي. ثم في عدد 13 يقول أنه كان يتمني أن يحتفظ به هو لكنه لا يمكنه عمل هذا بدون إذنه. وهذا أمر يجب ملاحظته إذ أن المسيحية لا تُشَجِّع المخطئ أن يهرب من خطيئته بل يجب أن يرجع ويواجهها ويواجه عواقبها أيضاً. المسيحية ليست هروباً بل دائماً مواجهة وإنتصارا, فالسيد المسيح لم يهرب من الصليب بل واجهه وإنتصر علي الموت بقيامته. لقد ترك أونسيمُس البيت مجرماً هارباً لكنه رجع متغيراً تماماً, إنه عرف المسيح يسوع والآن فقد صار أخاً. ربما يكون من الصعب علي فليمون أن يتقبل هذا لكن هذا ما يبغيه الرسول بولس بالتمام. وكأني به يقول : " إن كنت تحسبني شريك لك في عمل الرب يسوع وأنّ أونسيمُس إبني في إيماننا (أنت وأنا) إذن فيجب أن تقبله كما تقبلني أنا" إن الله يقبل الخطاة فلماذا لا نحن؟

**أعداد 18- 25 :**

المسيحية لا تسمح لأي إنسان أن لا يوفي ديونه, ولذلك يكتب الرسول بولس بخط يده أنه سيوفي كل الخسائر المادية التي تعرض لها فليمون بسبب أونسيمًس. وربما يدل هذا علي مقدرته المالية لدفع هذه الديون. نحن نعلم أنه إستأجر منزلاً في روما علي حسابه الخاص لمدة سنتين ليمكث فيه طول مدة سجنه في أنتظار محاكمته أمام قيصر. ونعلم أيضاً أن الوالي فيلكس أبقاه في السجن في قيصرية أملاً في أن يحصل منه علي رشوة نقدية. فإن كان الأمر كذلك فيجب علينا أن نًقَدِّرَ كم ضَحَّي في سبيل البشارة. ثم في الأعداد 19, 20 لا يسعنا إلاّ أن نلاحظ حاسة بولس الفكاهية عندما يقول لفليمون :" حتي لا أقول لك أنك مديون لي بنفسك" مشيراً إلي أنه قاده إلي معرفة السيد المسيح. وكأني به يقول "دعني الآن أحَصِّلُ جزءاً من هذا الدين." وفي عدد 21 يُرِي ثقته التامة في أن فليمون سَيُلَبِّي طلبه. وفي عدد 22 يُرِي للمرة الثانية ثِقَتُه الكاملة أنه من خلال صلواتهم سَيُطلَق سراحه ويسأل فليمون أن يُعِدَّ له غرفة للزيارة إذ أنه واثق أنه سيُوهب لهم. ثم في أعداد 23-25 يضع قائمة تحيات.

وأخيراًهناك شيئ واحد أريد أن أناقشه قبل ختام هذه الدراسة: فقد إلتقيت ببعض المسيحيين الذين يشعرون أن بولس الرسول يُحَبّذ الفروق الإجتماعية ويُوافق علي العبودية, وإلّا كان قد نادي بتحرير العبيد خصوصاً في كتابة هذه الرسالة التي تخُص عبداً هارباً. أما أنا فأقول لنتريّث قليلاً ولا نتسرّع في الإنتقاد أوإصدار الحكم دون أن نعلم ملابسالت القضية. أولاً يجب أن نعلم أن لكل شيئ وقته والإنسان الحكيم يعرف متي يختار الوقت المناسب. ثانياً يجب أن ندرس خلفية وظروف القضية التي نناقشها وهذا ما سأفعله الآن:

إن بعض ما سأقول ربما قد سمعتموه قبلاً, لكن لا بأس من إعادتها فقط لتيسير مجري الفكر والمناقشة. كما ذكرنا سالفاً, كان عدد العبيد في الإمبراطورية الرومانية يقارب الستين مليوناً الذي يضاهي ضعف أوثلاثة أمثال أو ربما أربعة أمثال عدد الرومانيين الأحرار. وكان الغالبية العظمي من هؤلاء العبيد ليسوا سوداً حسب فكرنا عن العبيد بل كانوا سبايا من الأقطار التي غزاها الرومان وهزموها وإحتلّوها وأخذوا أهلها ورحّلوهم إلي روما لخدمتهم. وهؤلاء كانوا بالطبع يَتَحَيَّنون الفرصة ويَصبون إلي الوقت الذي فيه يرجعون إلي بلادهم ويلتحقون بأسرهم الني فقدوها. وعبيد في مثل هذا العدد الضخم يًكَونون خطراً عظيماً للإمبراطورية إن هم ثاروا ضد السلطة الحاكمة الشيئ الذي كان حتماً سيحدث إذا نادي الرسول بولس بتحرير العبيد. حقاً لقد كانوا مظلومين وعوملوا بفظاظة ولم يكن لهم أي حق, لكن إقتصاد الإمبراطورية ونسيجها الإداري كان قائماً كلية عليهم, فقد عَمَلوا في كل المجالات من خدمة المنازل إلي خدمة المزارع والحقول إلي الأعمال المدنية (ليست العسكرية) إلي التعليم إلي الطب إلي الأعمال القانونية إلي كل ما يتصوره العقل إذ لم يكن للأسياد الرومان وقت ليقوموا بهذه الأعمال إذ كانوا مشغولين بالأكل والشرب والجنس والحفلات الإجتماعية, علاوة علي أنه كان عاراً للرجل الروماني أن يعمل.

فإن قام الرسول بولس أو أي مسيحي بالتنديد بالعبودية وإدانتها سَيُسَبب ضرراً جسيماً لكلا العبيد والمسيحيين للأسباب الآتية:

1. سَتَشِل حركة الإمبراطورية بأكملها.
2. سَتُشَجع العبيد ليثوروا ضد السلطات الحاكمة.
3. سَتَضطر الحكومة لإتخاذ إجراءات عنيفة ضد العبيد بحبسهم أو ضربهم أو حتي قتلهم لضرورة إستتباب الأمن.
4. سَتَضطر الحكومة أيضاً أن تتحذ إجراءات عنيفة ضد المسيحين والمسيحية الذين كانوا أصلاً مختبئين تحت الأرض وفي القبورليستطيعوا عبادة الرب. أضف إلي ذلك أنهم كانوا أصلاً مضطهدين من القيصر نيرو الذي أيضاً ألقي عليهم اللوم في حريق روما المشهور لكي يُغطّي علي فعلته الخسيسة.
5. كل هذا ربما كان يُؤدي إلي إضطراب جسيم في البلد وحرب أهلية.
6. إن حدث أحد أو كل ما سلف ذِكره, فستُصبح المسيحية تاريخاً مضي إذ أن الإمبراطورية الرومانية كانت قادرة آنذاك علي تدميرها كلية, وبالطبع لا نكن قد سمعنا عن الخلاص ونموت في خطايانا.

لكن الرسول بولس كبناء حكيم, وبالطبع بإرشاد الروح القدس, ترك الأمر في يد الله إلي الوقت الذي إنتشرت فيه تعاليم المحبة المسيحية وأتت حرية العبيد علي يد المسيحين أيضاً دون عنف أو ثورات.

**المراجع:**

1. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس – الحياة.
2. تفسير الكتاب المقدس لجون ماك آرثر.
3. تفسير عربي للكتاب المقدس.
4. تفسير العهد الجديد . وليام هيندريكس.
5. التفسير التعليقي للكتاب المقدس. دريك.
6. الرسائل إلي تيموثاوس وتيطس وفليمون. وليام باركلي.

**وسلام الله الذي يفوق كل عقل**

 **يدوم معكم**